ثانيا: النشأة و التطوّر

-محاور المحاضرة:

قبل البدء

1-أدوات البحث و عُدّة الباحث المقارِن

2- النشأة و التطور: أ-البدايات الأولى

ب-تطور الدراسات المقارنة في القرن العشرين

ج-الدراسات المقارنة في أمريكا

د-الدراسات المقارنة في أوربا الشرقية

هـ-الدراسات المقارنة في آسيا و اليابان

-مدخل:

« كل شعب بلا صلات ثقافية مع الشعوب الأخرى ليس إلا حلقة منفصلة عن الشبكة العالمية الكبرى ». إدغار كينيه -E .QUINET

1 -أدوات البحث في الأدب المقارن/ عُدَّة الباحث المقارِن:

يحتاج الباحث في الأدب المقارن إلى مجموعة من الأدوات التي تعينه في الدراسة المقارنة:

أ-الدراسة التاريخية: من الضروري أن يتزود الباحث بحصيلة واسعة من دراسة التاريخ. و هذه الدراسة تعينه على فهم الأحداث و تطوراتها، و العلاقات الإنسانية بين الشعوب في مظاهرها المختلفة. و الأدب المقارن يحتاج إلى التاريخ في الوقوف على سير الأبطال و دراسة النماذج البشرية الأدبية المعروفة عن كل شعب و أدب :كعنترة في الشجاعة و حاتم في الكرم و المجنون في الحب.. و كفاوست عند الألمان ، و دون جوان عند الإسبان...

ب-معرفة اللغات المختلفة: المعرفة لا تعني بالضرورة الإجادة لأن ذلك لا يتوفر للكثيرين، و لهذا أصبحت معرفة بعض اللغات هي الحد الأدنى الذي يطلب فذلك أفضل من الاعتماد الكلي على الترجمات.(يكفي الباحث أن يحيط بلغة أخرى إضافة إلى لغته القومية، كما يكفيه أن يبحث في عصر تاركا لغيره بقية العصور، و أن يختار شخصية معينة من بين الشخصيات، و أن يتناول جزئية تاركا لغيره بقية الجزئيات. فالعمل في ميدان الأدب المقارن يمكن أن يكون جماعيا تتضافر فيه الجهود، و أن يقدم كل ما يُحسن).

ج-الإحاطة بالآثار الأدبية الكبرى: كالإلياذة و الأوديسة و الكوميديا الإلهية و رسالة الغفران، و الشاهنامة ... و لو من خلال الترجمات.

د-الرحلة: لأنّ الاتصال بالشعوب يفتح آفاقا للفهم لا تتهيأ من دراسة الكتب وحدها، كما تساعد على إدراك المزاج الشخصي لشعب من الشعوب، و العادات التي تتحكم في تفكيره، و اتجاهاته فتجعل فنا من فنون الأدب يروج عنده و لا يروج عند غيره من الشعوب، و الرحلة قد تكشف عن أدباء مغمورين، و ثروات أدبية دفينة. و يكون الرحّالة بذلك مرسلا و مستقبلا – و الأمران ضروريان في الأدب لنقل الأفكار، و الصور، و تبادل التأثير-.

2-*النشأة و التطوّر*:

أ- البدايات الأولى :

ترجع نشأة الأدب المقارن إلى حوالي **1827** في فرنسا، حين بدأ "آبيل فيلمان" -**Abel Villemain** في إلقاء محاضراته بجامعة السربون حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية الأخرى والجدير بالذكر أن "فيلمان" هو أول من استخدم مصطلح " الأدب المقارن " وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفي الأدبي. إلاّ أنّ محاولات المقارنة بين الآداب ظهرت قبل "فيلمان " بسنوات عديدة (العصر الروماني مثلا).

وقد شهد القرن الثامن عشر بعض المحاولات من هذا النوع نتيجة لعوامل عدة نذكر منها:

- اتساع الأفق الأدبي لدى الباحثين نتيجة ازدياد الصلات الثقافية بين الشعوب.

-ظهور اتجاه قوي نحو العالمية أوما يسمى بالكوسموبوليتية (**Cosmopolitisme**) الذي يختلف عن فكرة التعالي في الأدب؛ أي وجود أدب مميز عن الآداب الأخرى.

- تطور الاتجاه الرومانسي في الأدب حيث أصبح اتجاها إنسانيا شاملا يهتم بالتجربة الإنسانية.

- اتساع المناهج العلمية في فهم الأدب ودراسته ، وانتشار المقارنات العلمية بين الأمم، ومحاولة العلماء الاستفادةَ ممّا وصلت إليه التطورات العلمية خارج حدود بلدانهم؛ ممّا نجم عنه نشأة فروع جديدة من المعرفة تعتمد على المقارنة، مثل: "علم الحياة المقارن" و " علم التشريح المقارن " و" علم اللغة المقارن "، ومن هنا كان التحوّل إلى مجال الدراسات الأدبية؛ فظهر بعض الباحثين الذين بشّروا بظهور "علم أدبي مقارن"، وكان في مقدمة هؤلاء " **إدغار كينيه** " .

- تأثير المكتشفات العلمية في حقل العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والتاريخ...

وتعتبر فرنسا المهد الأول للأدب المقارن نظرا لعوامل ثقافية واجتماعية وسياسية أهمها:

1. كان المناخ الثقافي الفرنسي منذ العصر الكلاسيكي مناسبا لممارسة البحث الأدبي المعمق لاسيما بعد أن تعاقب على فرنسا حكام اهتموا بالعلم و الثقافة، وعملوا على جعلها مركز إشعاع ثقافي في أوروبا.
2. كان الفرنسيون أول من تفطّن إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوروبية الأخرى مما أنشأ الأساس الأول للتفكير في الأدب المقارن.

3.رغبة فرنسا الشديدة في استرجاع مكانتها الثقافية الماضية من خلال التوسعات الاستعمارية في البلدان الإفريقية.

بعد " **فيلمان** " أتى **جان جاك أمبير** – **J.J.Ampère** الذي ألقى عام **1830** محاضرات في الأدب المقارن لفتت إليه الأنظار مما أدى إلى الانتقال من "مرسيليا" إلى **السوربون** حيث كان يلقي محاضرات حول الأدب الفرنسي، وعلاقاته بالآداب الأخرى في العصور الوسطى.

وكان "**جوزيف تكست**– **j. Texte** أول من كتب دراسات عميقة في الأدب المقارن جمعها تحت عنوان "دراسات في الآداب الأولى " سنة **1898** م وكان لها أثر قوي في نمو الأدب المقارن.

وبعده جاء "**فرناند بالد نسبرجير**– **F. Baldensberger** الذي ألّف كتابه " غوته في فرنسا" سنة **1904**، ثم عُيّن أستاذا في السوربون حيث أحدث كرسيا للأدب المقارن سنة **1910**.

وفي سنة 1903 انعقد بباريس مؤتمر عالمي جمع أساتذة الأدب في فرنسا وخارجها حيث بحثوا في موضوع التاريخ المقارن للآداب؛ وقد دعوا في هذا المؤتمر إلى دراسة التراث الشعبي و الأساطير والخرافات جنبا إلى جنب مع الأدب، كما أكدوا على ضرورة المقارنة بين مختلف الآداب الأوروبية.

و بهذا كانت فرنسا سبّاقة إلى إنشاء هذا الفرع المعرفي...

أما في **بريطانيا**: فقد ظهر أول كتاب في الأدب المقارن ما بين عامي **1837-1839** في أربع مجلدات بعنوان : " **مقدمة لدراسة الأدب الأوروبي في القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر والقرن السابع عشر**" **لهنري هالام**– **Henry Hallam**. ويعتبر الشاعر و الناقد الإنجليزي" **ماثيو آرنولد** – **M.Arnold** أوّل من جارى الفرنسيين في استخدام مصطلح الأدب المقارن.

أما في **ألمانيا**: فكان الأدب المقارن فرعا من تاريخ الأدب وكان **دانيال مورهوف**– **D. Morhof**أوّل من تنبّه إلى أهميته في الدراسات الجامعية و أول من أدخله في المناهج الدراسية تحت اسم " **تاريخ الأدب العام** "، وظل الحال على ما هو عليه حتى نهاية القرن التاسع عشر. و لم يتفرغ الألمان لدراسة الأدب المقارن إلا بعدما أشبعوا أدبهم القومي دراسة وبحثا، ولم يدخل الأدب المقارن إلى الجامعة إلا في سنة **1887** على يد **ماكس كوخ**– **Max koch**الذي نشر أول عدد من مجلة " الأدب المقارن ".

ب–تطور الدراسات المقارنة في القرن العشرين:

مع مطلع العشرينيات كانت مختلف الجامعات الفرنسية تُقبل شيئا فشيئا على تخصيص كراسٍ للأدب المقارن من جهة، ونشر البحوث المنهجية من جهة أخرى. ففي حوالي **1910** سارعت جامعة السوربون إلى إنشاء كرسيٍّ ثانٍ للأدب المقارن. وفي **1911** بدأ **بول فان تييغم** –**Paul van Tieghem**بحوثه المنهجية في الأدب المقارن التي كُلّلت بنشر كتاب «التركيب في التاريخ الأدبي» و «الأدب المقارن والأدب العام» سنة **1921** .

وفي عام**1931** نشر كتابه " الأدب المقارن " الذي ظل مرجعا أساسيا في علم الأدب المقارن لمدة طويلة.

و تتابعت المؤلفات الفرنسية منهجا وتطبيقا ففي سنة 1951 نشر **ماريوس فرانسوا غويار** كتابه : الأدب المقارن. و في الفترة نفسها –أي في الخمسينيات من القرن العشرين– ظهرت رؤية جديدة للأدب المقارن كان من روادها: **إيتيامبل وبيشوا و روسو و برونيل** ... فنشروا جملة من الأعمال عكست رؤيتهم المتطوّرة و خطت بفضلها الدراسات المقارنة خطوات لافتة، و من أهمّ هذه الأعمال:

1–ما هو الأدب المقارن؟ لبيشوا وبرونيل وروسو.

Qu'est-ce que la littérature comparée ? Pichois, Brunel, Rousseau.

2–في سنة 1989 نشر إيف شوفرال– Yves Chevral كتابه بعنوان "الأدب المقارن "

3– في سنة 1994 نشر دانيال باجو– Daniel Pageaux كتابا بعنوان " الأدب العام والمقارن"

4– في سنة 1996 نشر "إيف شوفرال " كتابا آخر بعنوان "مقدمة في الأدب المقارن "

5– في السنة نفسها نشر بيار برونيل – Pierre Brunel كتابا بعنوان : مقالة في الأدب العام و المقارن – La Dissertation de la littérature générale et comparée

6– في سنة 1998 نشر " بيار برونيل " وجان مارك مورة "كتابا بعنوان "شرح للأدب العام والمقارن " Le commentaire en littérature générale et comparée

ج–الدراسات المقارنة في أمريكا:

التفت الأمريكان إلى الدراسات المقارنة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وأول من أدخل هذه المادة إلى الجامعات الأمريكية **القس تشارلز تشاونسي شاكفورد – (Charles Chauncy Shakford)**.

وقد أنشئ أول كرسي للأدب المقارن في أمريكا في السنة الجامعية **1890/1891** في جامعة " **هارفارد – Harvard** وفي سنة **1904** أنشئ قسم كامل للأدب المقارن بالجامعة نفسها، وتولى رئاسته **سكوفيلد – Schofield** الذي أسس مجلة أسماها " **دراسات من هارفارد في الأدب المقارن"عام 1910.**

وفي سنة **1942** أنشأ **آرثر كريستي – Arthur Christy**لجنة للأدب المقارن، تعمل على تشجيع ما أسمته بـ: الأدب العام، وإدراجه ضمن البرامج المقررة على طلبة المدارس والكليات والجامعات.

وفي سنة **1961** ظهرت أول مجموعة من المقالات المتخصصة في الأدب المقارن وجمعت في كتاب واحد تحت عنوان " الأدب المقارن " منهجه وآفاقه.

وقد ظل الاتجاه التطبيقي هو الغالب في المؤلفات الأمريكية في الأدب المقارن، ولعلّ أهم بحث في هذه المرحلة هو كتاب " **نظرية الأدب** " "**لأوستين واران**" و "**رينيه ويلك** "، الذي نشر سنة **1971**. ثم نشر **شولتز** كتابه **الأدب المقارن كنظام أكاديمي** عام **1978**. كما شهدت المرحلة نشاطا كبيرا لـ "**هنري رماك** –**Henry Remak** في هذا المجال.

وفي الثمانينات بدأ الأمريكان يخرجون من دائرة الآداب الأوروبية نحو الآداب الأخرى كآداب أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا...

وأهم ما يميز أمريكا في هذا المجال وفرة المنشورات السنوية التي تصدرها الجامعات والروابط الأدبية منذ سنة **1958** كالكتاب السنوي للرابطة الدولية للأدب المقارن. كما كان الأمريكان ينشطون كثيرا ضمن مؤتمرات الأدب المقارن فقد استضافت الولايات المتحدة الأمريكية المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن سنة **1958** في جامعة كارولينا الشمالية والمؤتمر العاشر لهذه الرابطة الذي انعقد سنة **1982** بنيويورك.

د–الدراسات المقارنة في أوربا الشرقية:

لم تتقبل بلدان أوروبا الشرقية الأدب المقارن حتى كمجرد فكرة. وبعد المرحلة **الستالينية** حدث انفتاح نسبي في الثقافة والأدب أفاد منه الأدب المقارن نسبيا، إذ افتُتِح قسم للأدب المقارن في معهد الأدب الروسي في **لينغراد**. ومع ذلك ظل الأدب المقارن على الهامش في هذه الرقعة الجغرافية رغم شدة اعتناء هذا الوسط بالآداب الأجنبية حيث كانت تصدر في الاتحاد السوفيتي مجلتان موسومتان بـ: **الآداب الأجنبية** الواحدة في موسكو و الثانية في كييف ،ولكن لم تشيرا إطلاقا لمسائل الأدب المقارن. وفي الستينيات ظهر انفراج نوعي نسبي في حقل الأدب المقارن ،ونشطت محاولات لجمع شمل المقارنين الاشتراكيين في إطار ندوة **بودابست** سنة **1962** وندوة **برلين** سنة **1966**.

هـ–الدراسات المقارنة في آسيا و اليابان:

تتجه الدراسات المقارنة بخطى ثابتة نحو العالمية ولم تعد حكرا على أوروبا الغربية و أمريكا؛ وأثناء فترة السبعينيات والثمانينيات نشطت حركة ترجمة مقارنة في بلدان آسيا وأفريقيا، كما أنشئت فروع الرابطة الدولية للأدب المقارن في العديد من بلدان آسيا ومن أهمّها " **الصين**" حيث تتصاعد أصوات قوية لصالح الأدب المقارن في منظمة عُرفت دائما بعدم ترحيبها بالانفتاح على العالم، وفي ظل هيمنة أيديولوجية للحكم على المؤسسات الثقافية والتعليمية. وإلى جانب الصين هناك جامعات **تايوان** التي تصدر دوريات

أدبية باللغة الانكليزية تظهر اهتماما متزايدا بالأدب المقارن وكذا **كوريا الجنوبية**. وها هو ذا الباحث الكوري **سي وُنْ تشانج** (**Chang Se-Won**) يقوم بالمقارنة بين أدبه القومي وأدبنا العربي فيقرّ بأنهما، وإن تشابها في بعض النقاط، لم تقم بينهما يومًا أية صلات نظرا للبعد الجغرافي واختلاف السياق الثقافي هنا وهناك. وعلى هذا فهو يقترح استعمال المنهج الأمريكي في هذه المقارنة بين الأدبين نظرا لأنّه هو المنهج الذي يصلح لتلك المهمة. يقول في مقال له بعنوان "**إمكانية الدراسة المقارنة في الأدبين العربي والكوري**": إنّ مجال الأدب المقارن أصلاً شاسع وواسع لأنّه يمكن أن يتناول أدبين أو أكثر. ولعلّ مجال الأدب المقارن يتّسع أكثر في حالة تناول أدبين ليس بينهما تأثير وتأثّر. لذلك فنحن مضطرون في هذا البحث إلى اختيار منهجٍ من مناهج الأدب المقارن نراه مناسبًا للدراسة التي سنقوم بها، ولذلك أيضًا تمّ اختيار نماذج محدّدة من الأدب العربيّ والأدب الكوريّ للتطبيق عليهما... إنّ موضوع هذا البحث بالتحديد: البحث المقارن في الأدبين العربيّ والكوريّ، وستجري المقارنة بين الأدبين بمقابلتهما ببعضهما واستخراج نقاط التشابه بينهما في الفترة الحديثة، ومحاولة إثبات أنّ هناك شبهًا بين الأدبين في بعض ما يتميّزان به من خصائص مع أنّ هذا التشابه بين الأدبين قديم ولا يقتصر وجوده على الفترة الحديثة. وعليه يمكننا مبدئيًا القول: إنّ الأدبين العربيّ والكوريّ متشابهان على الرغم من أنّهما صورة للآداب غير الأوروبيّة أولاً، وعلى الرغم من بعد الشقة المكانيّة بينهما التي يكون من المستحيل معها في تلك الفترة تأثير أحد الأدبين في الآخر ثانيًا. وربّما يعود ذلك إلى تجربتهما المتشابهة تحت الاستعمار في العصر الحديث...".

أما **الهند** فعلى الرغم من تفتحها التقليدي على الكتلتين الشرقية والغربية فإنّ انشغال باحثيها بالقضايا الداخلية للعلاقات بين اللغات والآداب في شبه القارة الهندية صرفها عن الإسهام المنتظر في الأدب المقارن.

و قد لاحت في الأفق بوادر بحوث **هندية –باكستانية** متواصلة تهمّ الأدب العربي المقارن لأنها تركز على طبيعة العلاقات الثقافية والأدبية بين الحضارتين الهندية و العربية لاسيما من خلال الإسلام.

وتستحق **اليابان** وقفة خاصة لأنها أخذت منذ السبعينيات تحتضن تطورات مقارنة مهمة، ومن أبرزها: دخول الأدب المقارن نسبيا إلى الجامعات اليابانية، وظهور بعض المؤلّفات اليابانية بهذا العنوان، ونشاط الرابطة اليابانية للأدب المقارن في الساحة الدولية. وأتى عقد المؤتمر الثالث عشر للأدب المقارن في طوكيو في **1991** دليلا على خروج الرابطة الدولية من البوتقة الغربية.